تركوا مدارسهم ومهنهم أكبر منهم

بغداد/ غازي المنشداوي

مثلت عمالة الاطفال منذ زمن طويل مشكلة كبيرة شغلت تفكير المهتمين والمختصين في شؤون الطفل لما لها من مردودات سلبية تنعكس اثارها على حياة المجتمع وعلى الرغم من ان القوانين التي وضعت لحماية الطفل واكدت على حقه في العيش الكريم والتعليم وجميع حقوقه الاخرى الا اننا لم نلاحظ ان تلك القوانين قد طبقت في العراق بل على العكس فان ظاهرة عمالة الاطفال استفحلت وامتدت لتشمل جميع المهن بما فيها المهن الشاقة التي لا يقوى عليها الرجال الكبار.

عاش الطفل العراقي حياة مريرة امتزجت بالبؤس والفقر والتشرد في ظل غياب القانون طيلة خمسة وثلاثين عاما مضت وانعكس هذا الواقع بآثاره على المجتمع العراقي وترك آلاف الاطفال مقاعد الدراسة وتوجهوا الى مهن عديدة متحملين قسوة الحياة وهمومها من اجل لقمة العيش التي باتت صعبة للغاية وقد استمر الحال على ما هو عليه حتى سقوط النظام السابق وحتى الآن فعلى الرغم من الانتعاش النسبي في الحالة الاقتصادية لكن ظاهرة عمالة الاطفال بقيت مؤشراً خطراً لحالتهم وبقي الاطفال يمارسون الاعمال الشاقة التي يتقاضون عنها اجرا اقل مما هو متوقع.

(المرائب تزدهر)

في مرآب باب المعظم حيث يوجد عدد كبير من الاطفال يمتهنون اعمالا مختلفة حدثنا الطفل (قاسم جاسم) البالغ من العمر (١١) عاما قائلاً: انه ترك الدراسة في العام الماضي وهو الان يعمل في صبغ الاحذية ليساهم في اعالة والدته واخيه الصغير بعد فقدان والده في حادث سيارة. اما (عادل كاظم) (١٣ عاماً) الذي يعمل في بيع الصحف فيقول : انه يحب مهنته هذه وهو لايرغب في الدراسة ولا يحب الذهاب الى المدرسة كما ان ظروف عائلته صعبة فوالده مريض ومقعد ووالدته مسؤولة عن تربية اخوته الثلاثة.

اما (سعد زامل) (١٢ عاما) بائع السكائر فيقول: ان فقدانه لوالدته وزواج والده من اخرى ادى به الى هذا الحال حيث ان زوجة والده لاترغب في رؤيته في المنزل لذا فهو سينشغل بعمله طوال النهار من اجل ان لايرى زوجة ابيه وهي تؤنبه باستمرار على الرغم من طاعته لها.

اما في مرآب الامة في حي الحرية فشاهدنا اعدادا كبيرا من الاطفال امتزجت رائحة الدهن بالبنزين في ملابسهم حتى اصبحت سمة واضحة اذ يقول: احمد سعيد الذي لم يتجاوز عمره الثالثة عشرة سنة قائلا: انه يعمل منذ ثلاثة سنوات في هذا المكان مع والده وعن سبب ذلك يقول: تركت المدرسة لكي اساعد ابي على العمل فالمدرسة لاتفيد في شيء اما والده فقال: لابد ان يتعلم ابني المهنة بعد تركه الدراسة وهذا سبب اصطحابي له فيما يقول حازم منير وعمره (١٤) عاما توفى والدي منذ سنوات وانا الوحيد الذي اعيل امي واخواتي فانا اعمل منذ اربعة سنوات مع احد اقاربي والآن استطيع ان اصلح اية سيارة وايا كان نوع العطل المهم عندي هو ما احصل عليه ولا افكر بالمدرسة او باي شيء آخر.

فيما يقول ماجد حسن البالغ من العمر (١٥) سنة والذي يعمل صباغا للسيارات انه يعمل في هذه المهنة منذ سنتين وترك الدراسة لان والده مريض ولايستطيع تدبير اموره لذ قرر العمل في هذه المهنة لمساعدة اهله على العيش والحصول على مبلغ (٣٠٠٠) دينار يوميا ليسلمها الى والده كاملا من دون ان يضع دينارا واحدا في جيبه.

(سلوكيات منحرفة)

بعد هذه الرحلة القصيرة مع بعض المهن التي يعمل بها الاطفال توجهنا الى الاستاذ مصطفى السعدي استاذ الاختصاص في علم الاجتماع حيث سألناه عن الاثار التي تتركها العمالة المبكرة على حياة الطفل والمجتمع فاجابنا قائلا:- ان عمالة الطفل تمثل تهديداً لحياة المجتمع كاملا ونتيجة لهذه الاعمال ينشأ الاطفال في مجتمع قاس يتعلم من خلاله بعض السلوكيات المنحرفة تؤدي بلا شك الى التهديد لمستقبل الاطفال العاملين فضلا عن انه عندما يتقدم به العمر سوف تمتزج القساوة والشقاوة بشخصيته. وكما هو معروف ان الطفل يكتسب العديد من السلوكيات من خلال المجتمع والجماعة التي ينتمي اليها وهذا الامر بالغ الخطورة وما يتبعه من عمليات هدم الحياة لكثير من الاطفال الذين يعملون والذي ينسحب على اقرانهم من الذين لا يعملون وعن الموضوع نفسه قال الاستاذ سعد كامل استاذ في دائرة الرعاية الاجتماعية: ان مشكلة عمالة الاطفال تمثل ظاهرة خطيرة تؤدي الى فساد جيل كامل فالظروف الاقتصادية السيئة التي عاشها المجتمع العراقي لاتسوغ باي شكل من الاشكال ظاهرة عمالة الاطفال. فهناك قوانين تمنع عمل الاطفال وكانت بعض المؤسسات في السابق تتابع الموضوع وتحتجز الاطفال الذين يعملون ويؤخذ تعهد خطي من ذويهم بعدم تكرار ذلك لكن الوضع الحالي والانفلات الامني جعل الامر يزداد سوءا ومن ثم زاد عدد الاطفال الذين يعملون في كل مكان لهذا فان الامر يقع على عاتق العائلة والمجتمع وليس على الاجهزة الامنية والرعاية الاجتماعية من اجل القضاء على هذه الظاهرة.

اما الباحث الاجتماعي سعدون احسان فيقول: ان مشكلة عمالة الاطفال هي احدى افرازات النظام السابق والذي دفع بسبب سياسته الخاطئة وبسبب الحصار الاقتصادي الذي فرض حينذاك على العراق الكثير من العوائل الى زج اطفالهم للعمل في سن مبكرة لاعالتهم ولتوفير متطلبات العيش لهم حيث تركت نسبة كبيرة من الاطفال مقاعد الدراسة واتجهوا الى العمل. وبعد سقوط النظام المباد اتسعت هذه الظاهرة الاجتماعية الخطيرة حيث شملت الكثير من الاطفال والصبية للعمل في الكراجات والاماكن الصناعية مؤكدا ان ذلك سيكون له انعكاسات سلبية على مستقبلهم وعلى مستواهم العلمي والدراسي.

أسباب تردي الوضع التعليمي والتربوي في محافظة المثنى:

مستوى المعلم ونقص المدارس والمنهج المتخلف

السماوة: عدنان سمير دهيرب

مدير تربية المثنى: نحتاج الى ١٢١ مدرسة جديدة لحل مشكلة الدوام المزدوج مختصون يتحدثون عن مشكلات ومعوقات كثيرة تحول دون تطوير العملية التربوية في محافظة المثنى بينما يعتقد بعض المسؤولين ان هذه العملية في تطور مستمر وشهدت انجازات مميزة.

الطرفان يعبران عن حرصهما على تطوير التعليم في المحافظة لكنهما يختلفان بالتقييم) المدى (التقت طرفي التقييم وكانت هذه الحصيلة من الاراء والافكار:

يقول الاستاذ محمد فليح الجبوري تدريسي في كلية تربية المثنى: الاسباب تعود الى ان اغلب الاسر اخفقت في توجيه ابنائها جراء غياب المتابعة اليومية وتجاهل مشاكل الطالب واحتياجاته وغياب المتابعة الدورية مع ادارة المدرسة وتكليف الطالب بمهام اخرى كالمساهمة في الانفاق على الاسرة نتيجة الظروف التي يمر بها البلد مما جعل الطالب يفشل في دراسته وشيوع ثقافات جديدة ولا سيما بعد سقوط النظام المباد مثل ثقافة اجهزة الموبايل والستلايت ومنظومة الانترنيت التي ينهمك الطالب في متابعتها اكثر من متابعة دروسه.

واضاف كما ان المجتمع يتحمل مسؤولية ذلك بسبب عدم الشعور بالمصلحة العامة لدواع مختلفة منها الظروف التي مربها المعلم قبل السقوط فضلاً عن هبوط المستوى العلمي والثقافي للمعلم وانحسار مهمة المعلم على ما يحويه الكتاب المقرر دون سواه مما تسبب في تحجيم عقلية المعلم والطالب معاً.

وكذلك عدم صلاح الكثير من المدارس للخدمة، واحتياجها الى المستلزمات التي تديم العملية التربوية. وترى السيدة فوزية الجابري- تدريسية في كلية تربية المثنى ان العملية التربوية تقوم وكما هو معروف على ثلاثة اركان الطالب والمدرسة والعائلة ويمكننا صياغة عملية رياضية توضح ترابط هذه الاركان.. المدرسة+ العائلة = طالباً جيداً.

واضافت: بعد سقوط النظام ودخولنا مرحلة جديدة اظهرت وبشكل واضح التفكك بين اطراف المعادلة العلمية تلك وبدأت تظهر اشكالات اخرى، اذ اخذت المدارس تهتم بالاثاث والبناء اكثر من انشغالها بتجديد المناهج او تأسيس مكتبات او حتى التفكير برفع المستوى العلمي للطالب.

اما الطالب طرف المعادلة ونتيجتها فقد ظل كما هو، لم يتطور علمياً، وان انتقل الى مرحلة دراسية متقدمة اذ صار شغله الشاغل الحصول على النجاح، بأسهل الوسائل الممكنة.

وكان للسيد عبد الكاظم نفات المدير العام لتربية المثنى رأي مغاير لما قاله زملاؤه اذ قال:

ان التعليم مر بفترة مظلمة خلال العقد الاخير من القرن الماضي حيث لم يلق التعليم آنذاك اية رعاية او اهتمام بل على العكس اراد النظام السابق ان يهبط بالتعليم الى الحضيض كي يستطيع تحقيق مآربه من خلال مجتمع متخلف وقد استهدف المعلم من مختلف النواحي وتم تحييد قدراته فضلاً عن عزوف الطلبة عن التعليم بسبب الظروف السياسية والاقتصادية مما جعل مستوى التعليم متدنياً من حيث النوع.

واشار الى ان الدائرة نفذت خططاً تربوية جديدة مع بداية العام الدراسي ٢٠٠٦-٢٠٠٥ قمنا بفك الاختناق ومع ذلك تعاني مدارسنا الدوام المزدوج حيث تم شطر ٨٢ مدرسة وفتح عدد آخر من المدارس وبلغت الزيادة في عدد المدارس خلال العام الحالي ٩٩ مدرسة بين فتح جديد وشطر ليصل عدد المدارس في عموم المحافظة الى ٤٣٣ مدرسة منها ١٩١ مدرسة بدوام احادي و٢٤٢ مدرسة بدوام مزدوج ولفك الازدواج نحتاج الى بناء ١٢١ مدرسة جديدة فضلاً عن التوسع الطبيعي الذي يبلغ معدله ٣٠ مدرسة سنوياً.

وقال المدير العام لتربية المثنى لقد تم تأهيل معظم مدارسنا من قبل المنظمات الدولية والدول المانحة وعلى رأسها اليابان التي اسهمت بقدر كبير في اعادة تاهيل المدارس عن طريق قوات الدفاع الذاتي اليابانية في المحافظة وحول النقص الشديد في عدد المدرسين لمادة اللغة الانكليزية في مدارس المحافظة قال ليس لدينا (ملاك) في هذا الاختصاص حيث ان كلية التربية لا ترفد الدائرة بهذا الاختصاص وقد عمدت الوزارة الى نقل مدرسين من محافظات اخرى الى السماوة لسد النقص الحاصل.

واقترح السيد محمد فليح الجبوري التدريسي في كلية تربية المثنى عدداً من الافكار التي من شأنها الارتقاء بالعملية التربية والتي تتجسد ب:

-العمل بقوانين اداء العمل والتشديد على تطبيقها بحق المقصرين من الملاك التدريسي وتفعيل قانون الثواب والعقاب

- اعادة النظر في آليات قبول الطلبة في كليات التربية ومعاهد اعداد المعلمين بوضع شروط لا تسمح بتسرب الطلبة من غير المؤهلين لمهنة التعليم.

- اعادة النظر في المناهج الدراسية لكل المراحل وطرح مناهج جديدة مع الاخذ بنظر الاعتبار المرحلة الجديدة التي يعيشها الطالب.

- استقلالية المنهج والنأي به عن الاتجاه السياسي والمذهبي والطائفي

دعوة للبحث في المناهج وتطويرها

بغداد/ المدى

ترتقي الشعوب بعلومها وتعمد دائما بالمحافظة على خلفياتها الحضارية على اعتبار ان مستوى تطور هذه العلوم هو الكفيل بامتلاكها ناصية التقدم والمعرفة. ان حالة الرقي والتقدم تتكرس من خلال تخطيط علمي مسبق تعمل على وضعه مؤسسات الدولة التربوية والاجتماعية عن طريق اكاديميين من ذوي الاختصاص يدرسون كيفية ايصال المعلومات للمتلقي بموجب وسائل عدة منها عامل العمر وعامل المرحلة العلمية وعامل التدرج في انسياب طرح العلوم على المتلقين من خلال مراحل دراسية متعددة تبدأ بالمدارس الابتدائية ثم الثانوية ثم الجامعة على اختلافها، ويتم هذا الطرح المبرمج للعلوم بواسطة مناهج دراسية علمية تتطور مع تطور وتقدم المراحل العمرية وبالنسبة لما هو الحال عليه في عراقنا وما وصلت اليه هذه المناهج ومستوى تقبلها لدى الطلبة ومستوى تطورها ومستواها العلمي فسنترك الحديث عنه الى الذين يعدون الاكثر اطلاعا على حيثياته المختلفة وذلك من خلال التحقيق التالي الذي قمنا به والذي يشتمل على لقاءات عدة وحوارات ونقاشات مع عدد من الاكاديميين والتربويين والاساتذة والمواطنين للوصول الى السبل التي من شأنها الارتقاء الى ما وصلت اليه الشعوب المتقدمة.

كان في مقدمة من التقيناهم الاستاذ سلمان حامد المشرف التربوي والذي ساهم في وضع العديد من المناهج العلمية وبالخصوص منها الرياضيات ليعلق على هذا الموضوع قائلا ان المشكلة الرئيسية التي نعاني منها انعدام التخطيط المنهجي التربوي في العراق ليتمثل في عدة جوانب سنعرضها بعدة نقاط:

اولا: توقف عجلة التطور العلمي المنهجي في العراق منذ مدة ليست بالقليلة وهي تتصف بالجمود غير المبرر وغير المنطقي ثانيا: عدم الاعتماد على الكفاءات العلمية الرصينة ما ادى الى تدهور علمي للمناهج واسع النطاق في المستوى التطوري لطلبتنا ثالثا: الابتعاد عن البحث العلمي والدراسات التحليلية المنهجية التي تكشف من حين لاخر عن مدى تاثير واستيعاب الطلبة للمناهج التي تطرح عليهم كما هو معمول به لدى العديد من دول العالم بما فيها الدول النامية رابعا: عدم الاختلاط العلمي بين العراق والعالم الخارجي والتعمد الواضح في عزل البلد عن كل اشكال التطور المحيط به والذي شهد قفزات نوعية في مختلف العلومخامسا: استخدام اساليب التوائية من قبل بعض المحسوبين على القطاع التربوي لتحقيق اغراض خاصة من خلال طمر الحقائق التاريخية والعمل على تزوير جوانب تاريخية مهمة في عدة مناهج منها التاريخ والجغرافية واللغة العربية والاقتصاد وغيرها من المناهج الاخرى.

بينما ذهب الدكتور مصطفى النرجس الاستاذ في علم الاجتماع في جامعة بغداد الى ان التدهور في المستوى التدريسي الجامعي يعد من اهم المعوقات التي ساهمت بصورة او باخرى في تراجع ثم انخفاض المستوى العلمي لخريجي الجامعات العراقية في العقدين الاخيرين وهذا ما ساهم وعملت على تحقيقه اجهزة النظام المباد التي كانت تقود دفة الحكم في البلاد وذلك بسبب عنصرين مهمين اولهما انخفاض الاجور والمرتبات التي تعطى للاستاذ الجامعي ودفعه بصورة غير مباشرة الى تلقي الرشاوى والهدايا من طلبته وبناء علاقات مشبوهة معه وسقوط الهيبة التي يتمتع بها التدريسيون الجامعيون الى مستوى كبير جدا ولعل الاهم في ذلك هو هجرة العلماء من بلادنا وثانيا الفساد الاداري المتفشي في قمة الهرم التعليمي الذي ادى الى

حصول المئات من ذوي الشهادات العليا بواسطة علاقات خاصة ومشبوهة او عن طريق تقديم الرشاوى او بالارهاب الذي كانت تمارسه السلطة لايصال عملائها ووكلاء مخابراتها واجهزتها الامنية الى قمة الهرم التعليمي من خلال اجبار الهيئات الجامعية على قبول هؤلاء في مقاعدها للدراسات العليا ومن ثم اجبارها على قبول رسائلهم المكتوبة بأيد اخرى. وهذا قد ساهم بصورة كبيرة جدا في انخفاض مستوى التطور العلمي لخريجي جامعات العراق في العقدين الاخيرين، اضافة الى قلة الامكانات الجامعية في فتح المختبرات والمعامل المهنية بالنسبة لكليات الهندسة والعلوم والتربية العلمية والتقنية والاعلام وغيرها من الكليات التي تحتاج الجانب العلمي في تطوير عملها مما يسبب تدهور الجانب العلمي في الجامعات واثر بشكل واسع وبصورة اكبر من التدهور المنهجي الذي اثر بشكل اقل من ذلك الذي ذكرناه ثم انتقلنا الى الطبقة التدريسية الثانوية فالتقينا بالمدرس (سلام جابر) مدرس مادة الفيزياء في احدى اعداديات بغداد/ الرصافة فعلق على مستوى المنهج للمرحلة الثانوية قائلاً: ان سياسة التلقين الايديولوجية التي مارسها النظام السابق على مستوى التطور الذهني بالنسبة لطلبتنا وصولا الى انتهاجهم سلوكا خاصا يريده النظام السابق لتحقيق اغراض خبيثة على عقول هؤلاء الطلبة اهم ما ساعد التدهور العلمي الكبير في المناهج التربوية اما العلمية منها فلم يكترث بها النظام المباد لا من بعيد ولا من قريب وكأنها مسالة لاتعنيه بتاتا ثم قال المدرس (حسن صباح) مدرس اللغة العربية ان حملة تنقية وتطور المناهج بدأت بقوة حين تشكلت الحكومة العراقية الاولى بعد سقوط النظام السابق غيرانها ما لبثت ان عادت الى نفس البرود التي كانت عليه قبل هذه المدة لذا فاننا نطالب الاخوة المسؤولين باتخاذ قرار سريع بتغيير ما طرأ على هذه المناهج من تغيير متعمد اثناء الحكم الصدامي البغيض واضافة الحقائق التي الغيت وهذا ما تطلب قوة وجرأة في اتخاذ مثل هذا القرار ونحن لانطالب بتزييف او تزوير الحقائق، انما نطالب بالرجوع والاستناد الى الدراسات العلمية الموضوعية في التعديل المطلوب من قبل شخصيات مختصة في علومها عكس ما كان موجود في الحقبة السابقة حيث كان ما يسمى (بالرفاق) يصولون ويجولون في مناهج التربية ويكتبون ما يحلو لهم. وبعد هذه الاراء انتقلنا الى آراء بعض المواطنين من اولياء امور الطلبة لنتعرف على آرائهم في هذا الخصوص يقول المواطن (هاشم سعد) اننا كأولياء امور لا نرى أي تطور محوري او جوهري في المناهج العلمية والتربوية التي طبعت بعد سقوط النظام حيث كان املنا واسعا في اجراء تغيير كبير فيها بعد التخلص من الطاغوت الصدامي البغيض لذا فاننا نرى ضرورة انتباه الاخوة القائمين او المسؤولين على هذا القطاع الحيوي المهم الى خطورة واهمية هذا الجانب والعمل الفوري على تحسينه والتركيز على الاسباب الرئيسية التي تسببت بالانخفاض الملحوظ في المستوى العلمي والتربوي لابنائنا الذين يمثلون مستقبل العراق حيث يدور سؤال محوري في مخيلتنا نريد ان نسأله من خلال هذا المنبر الصادق المتمثل بصحيفتكم الموقرة. اذا لم نكترث بمستقبل بلادنا وسعينا فبماذا نكترث اذا؟ بعد هذا السؤال ارتئينا الوقوف على رأي المربيات الفاضلات وهي والدة لاربعة طلاب في مراحل متعددة وهي السيدة (سلمى حميد السعدي) فكان رأيها بهذا الصدد واضحا حيث قالت: اذا اردنا تحقيق تقدم في المستوى التعليمي في بلادنا فلابد من الوقوف على السلبيات والايجابيات داخل المؤسسة التعليمية والتربوية فنبذ السلبيات والتخلص منها والعمل بمرحلة تطوير الايجابيات بشكل يتناسب مع حجم التطور العلمي والتكنولوجي الهائل الذي وصل اليه العالم. وهو ما نراه مناسبا للخروج من حالة الجمود التي يمر بها الجانب العلمي التربوي العراقي منذ سقوط النظام ولغاية الان، مع الاعتراف ببعض الجهود المتواضعة ان صح التعبير والتي تحاول التخلص وبصورة جادة في تركة النظام السابق والتي هي تركة ثقيلة جدا بالتاكيد.